﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الطّور: 15 - 16]

❁ مناسبةُ الآيتين لِما قَبْلَهما:

التّهكّم بالكافرين بعد ذِكْر سوء مصيرهم

لمّا ذكر النّظمُ الجليل فيما سبق شأنَ الكافرين ومآلهم في الآخرة؛ نبّه هنا على ضلالةٍ من ضلالاتهم في الدّنيا، عندما كانوا يُعْرِضون عن سماع القرآن وينسبوه إلى السّحر، فتسبّب عن ذلك توبيخُهم والتّهكّم بهم بقوله: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾[1].

ومنها: لمّا ذكرت الآيةُ السّابقة أنّهم يُدَعّون إلى نار جهنّم دعًّا، ويقال لهم عند قذفهم فيها: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الطور: 14]؛ جاءت هذه الآيةُ لمزيد السّخرية منهم، والاستهزاء بهم بأن يقال لهم: ما أنتم فيه من العذاب سحرٌ كما كنتم تقولون، أم أنتم لا تبصرون.

❁ شَرحُ المُفْرَدات:

1) ﴿أَفَسِحْرٌ﴾: أصلُ (سحر) يدلُّ على الخِداعِ والتّخيلات التي لا حقيقةَ لها وشِبْهِه[2]، وحقيقةُ السِّحْرِ: صَرْفُ الشَّيءِ عَنْ حَقيقَته إلى غَيْرِه، فكأنَّ السّاحِرَ لَمّا أرَى الباطلَ في صورَةِ الحَقِّ، وخَيَّلَ الشَّيءَ على غيرِ حَقيقَته، قَدْ سَحَرَ الشَّيءَ عَنْ وجْهه، أي: صَرَفَهُ[3]. والمَسْحور: ذاهِبُ العَقْلِ المُفْسَدُ[4]. والسِّحْرُ: الأُخْذَةُ؛ وكلُّ ما لَطُفَ مَأْخَذُه، ودَقَّ، فَهوَ سِحْرٌ، والجَمعُ أسحارٌ وسُحورٌ، ورجلٌ ساحِرٌ مِنْ قَوْمٍ سَحَرَةٍ[5].

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 11، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 43.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سحر).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (سحر).
(4) الزّبيديّ، تاج العروس: (سحر).
(5) ابن منظور، لسان العرب، والزّبيديّ، تاج العروس: (رهق).

2) ﴿ٱصۡلَوۡهَا﴾: أصلُ (الصّلى) الإيقادُ بالنّار، ويقال: صَلِيَ بالنّار، وما أشْبَهَها مِنَ الحُمَّى، يُقال: صَلَيْتُ العودَ بالنّارِ، وصَلَيْتُ اللَّحْمَ: شَوَيْتُه، فأمّا أصْلَيْتُه، وصَلَّيْتُه؛ فَعَلَى وجْهِ الفَسادِ والإحْراق[1]. وتَصَلّاها: قاسَى حرَّها، وأصلاه النّار، وصلّاه إيّاها وفيها وعليها: أدخله إيّاها وأثْواه فيها، وقد استعمل هنا في الدُّخول مجازًا[2].

❁ المعنى الإجماليُّ:

النّار في الآخرة حقّ

يقول تعالى على وجه الإنكار والتّهكّم بالمشركين: هل ما ترونه بأعينكم من العذاب حقّ، أو أنّكم قد سُحِرتم كما زعمتم أنّ النّبيّ ﷺ قد سحركم في الدّنيا، أو قد غُطّيت أبصاركم فلا ترى شيئًا؟ بلى إنّ ما ترونه من العذاب حقّ، ولم تُسحر أعينُكم، ولم تُغطَّ أبصارُكم. فقد ثبت لكم أنّ النّار حقّ ولم يمكنكم إنكارُها، فتحقّق أنّها ليست بسحر، ولا خلل في أبصاركم، فاصلوها، وذوقوا حرَّها، فاصبروا على ألمها، أو لا تصبروا، فلن يُخَفَّف عنكم العذابُ، ولن تخرجوا منها، ونحن لم نَظْلِمكُم، فإنَّما تُجزون ما كنتم تعملون في الدّنيا[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبلاغيُّ:

نُكْتَةُ فصلِ الآية عن سابقتها:

التّهكّم بالاستفهام بعد الإخبار بالتّهديد

فصل النّظمُ الجليل الجملةَ في قوله جلّ شأنُه: ﴿أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ أَمۡ أَنتُمۡ لَا تُبۡصِرُونَ﴾؛ لأنّها جاءت بصيغة الإنشاء، وما قبلها بالخبر، فكان بينهما كمالُ الانفصال، فوجب الفصل بينهما.

بلاغة الاستفهام في قوله: ﴿أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ﴾:

التّقريع والتّهكّم بالمشركين

عبّر النّظمُ الجليل بالاستفهام في قوله جلّ شأنه: ﴿أَفَسِحۡرٌ هَٰذَآ﴾؛ وذلك للتّقريع والتّهكّم، وللإنكار والتّوبيخ[4]، أي: إنّكم كنتم

(1) الأزهريّ، تهذيب اللغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (صلي).
(2) الآلوسيّ، روح المعاني: 2/ 425.
(3) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 27/ 20، 21، وجماعة من العلماء، التّفسير الميسر: 1/ 524.
(4) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 153، والنّيسابوريّ، غرائب القرآن: 6/ 193.

تقولون عن القرآن إنّه سحرٌ، وفي هذا تحسير لهم، والمعنى: أهذه النّار التي تشاهدونها الآن سحرٌ كما كنتم تقولون في الدّنيا[1].

سرّ التّعبير بالفاء في قوله: ﴿أَفَسِحْرٌ﴾:

نسبتم الوحي للسّحر، فهل هذه النّار سحرٌ؟

عبّر النّظم الجليل بالفاء في قوله جلّ شأنه: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾؛ لأنّ هذه الفاء تقتضي معطوفًا عليه، وهو مُقدّر دلّ عليه مضمون ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الطور: 14]، وتقديره[2]: كنتم تقولون للقرآن هذا سحر، فهل هذه سحرٌ كذلك؟ وذلك أنّ المشركين كانوا ينسبون النّبيّ ﷺ إلى السّحر، وأنّه يَسْحَر العقولَ، فبَكَّتَهُم على ما قالوا، سائلًا إيّاهم: هل ما ترونه بأعينكم الآنَ من العذاب حقٌّ، أو هو سحرٌ أيضًا؟[3].

سرّ التّعبير بالسّحر مع دلالة التّنكير:

عبّر بالسّحر للتّهكّم بهم، ونَكّره لتعظيمه وتهويله

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بالسّحر في قوله جلّ شأنه: ﴿أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ﴾ من باب التّهكُّم بهم على ما كانوا يقولونه في شأن القرآن ورسولِ الله ﷺ؛ لإبعاد النّاس عن الإيمان، ويزعمون أنّه فَرّق بين الابن وأبيه، والزّوج وزوجه؛ فجاء القرآنُ بهذا اللّفظ ليُذَكّرَهم بما كانوا يقولون، ولأنّهم كانوا ينسبون المَرئيّات إلى السّحر؛ فكانوا يقولون بأنّ انشقاق القمر وأمثاله سحر، وفي ذلك اليوم لمّا تعلّق بهم مع البصر الألمُ المُدْرَكُ بِحِسّ؛ لم يُمكِنهم أن يقولوا هذا سحر[4]. وجاء مُنَكّرًا للدّلالة على تعظيمه وتهويله، أي: أهذا الذي ترونه سِحْرٌ[5].

دلالة التّعبير باسم الإشارة ﴿هَٰذَآ﴾:

دُنوّ النّارِ منهم حتّى كادت أن تحيط بهم

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ باسم الإشارة ﴿هَٰذَآ﴾، الدّالِّ على

(1) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 15/ 46.
(2) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 9/ 281.
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 28/ 52، 53.
(4) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 14/ 507.
(5) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام في القرآن الكريم: 4/ 161.

القُرب في قوله جلّ شأنه: ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾، فهو إشارةٌ إلى النّار حالَ رؤيتِهم إيّاها في الآخرة، وهي قريبة منهم يوشِكون على الحلول فيها[1].

الغرض من تقديم الخبر:

قدّم النّظمُ الجليل الخبرَ على المبتدأ في قوله جلّ شأنه: ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾، فلم يقل: (أهذا سحرٌ)؛ لأنّ الخبر وهو السّحر هو المقصود بالإنكار والتّوبيخ، فقُدِّم للاهتمام به[2].

السّحر هو المقصود من التّوبيخ والإنكار

سِرّ التّعبير بـ ﴿أَمْ﴾، ودلالةُ الاستفهام بها:

عبّر النّظمُ الجليل بـ ﴿أَمْ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿أَفَسِحْرٌ هَذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾، وهي هنا منقطعة، بمعنى (بل) الإضرابيّة، أي: بل أنتم عميٌ عن المُخْبَر عنه[3]، والاستفهام الذي تقتضيه مستعملٌ في التّوبيخ والتّهكّم، والتّقدير: بل أأنتم لا تبصرون[4]. ويجوز أن تكون ﴿أَمْ﴾ معادلةً، والمعنى: هل في المرئيّ شكٌّ، أم هل في بصركم خللٌ، أي: لا واحد منهما ثابت[5].

الانتقال من إنكار قولهم السّحر إلى توبيخهم بعدم بصرهم للحقيقة

نُكْتَةُ تقديم المسنَد إليه مُخْبَرًا عنه بخبر فعل منّفيّ:

قدّم النّظمُ الجليل المسندَ إليه على المسند الفعليّ المنفيّ في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾، دون أن يقول: (أم لا تبصرون)؛ وذلك لإفادة تقوية الحُكم، ولأنّ مجيء الضّمير المنفصل مسندًا إليه مُقدّمًا يفيدُ تأكيدَ الحُكم وتقويتَه[6]؛ فهو لم يَنْفِ الإبصار عنهم، بل حكم عليهم بأنّهم لا يبصرون أصلًا، وهذا أبلغ من مجرّد النّفي.

عدم إبصارهم للحقيقة وصفٌ ثابت فيهم

(1) المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام في القرآن الكريم: 4/ 161.
(2) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 153.
(3) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 15/ 46، وينظر: الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 28/ 72.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 44.
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 14/ 507.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 44، وينظر: المطعنيّ، التّفسير البلاغيّ للاستفهام في القرآن الكريم: 4/ 161.

دلالة التّعبير بالإبصار مادّةً وصيغةً:

انتفاء رؤيتهم الحقّ مستمرّة ومتجدّدة

عبّر النّظمُ الجليل بالإبصار في قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ﴾ لنفي إبصارهم المرئيّات كما هي في الواقع، وذلك توبيخًا لهم على ما كانوا يقولون في الدّنيا: ﴿إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا﴾ [الحجر: 15]، فلعلّكم تزعمون أنّكم لا تبصرون العذاب الآن[1] مع وضوح سببه في الظهور، وهو النّار.

وممّا يذكر في سرّ التّعبير بنفي الإبصار دون غيره، تبكيتُهم على ما كانوا يفعلون في الدّنيا من عدم رؤيتهم للحق مع وجود بصرهم؛ فكأنّ التّعبير يُعيدُهم إلى ماضيهم في الدّنيا بأنّ عدم البصر للدّليل القرآنيّ أدى بهم إلى ما هم فيه. وفي التّعبير بالإبصار زيادةٌ في إيلامهم، بأن ينظروا في هذا العذاب، ويملؤوا عيونَهم منه قبلَ أن يذوقوه بأجسامهم[2]. وجاء التّعبير بالمضارع للدّلالة على تجدّد النّفي، أي: استمرار عدمِ قدرتِهم على رؤية المرئيّات.

نُكْتَةُ فصل قوله: ﴿ٱصْلَوْهَا﴾:

رؤيـة النّـار مسـفـرة عـن الـدّخـول فيها ومباشرة حَرِّها

فصل النّظمُ الجليل الجملةَ في قوله جلّ شأنه: ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْۖ﴾ لأنّها مستأنَفَة، وهي متّصلة بما قبلَها اتّصالَ النّتيجة المُترقَّبَة من التّوبيخ والتّغليظ السّابقَيْن، أي: ادخلوها فاصطلوا بنارها[3].

سرّ التّعبير بالصّلي مع دلالة الأمر في قوله: ﴿ٱصْلَوْهَا﴾:

دخـول النّـار للاحـتراق فيها والعذاب بها

عبّر النّظمُ الجليل بالصّلي في قوله جلّ شأنه: ﴿ٱصْلَوْهَا﴾ دون الدّخول؛ لأنّه أبلغ، وذلك لدلالته على الدّخول مع مقاساة حَرّها، فهو مجاز لمباشرة النّار والدّخول فيها[4]؛ وذلك لأنّ الدّخول في النّار

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 44.
(2) الخطيب، التّفسير القرآنيّ: 9/ 560.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 44.
(4) الخفاجيّ، عنايه القاضي: 8/ 102.

يَلْزَم منه الصّليُ والاحتراقُ بنارها[1]. فهو تنكيلٌ بهم بسبب ما كانوا يفعلون مع عباد الله في الدّنيا، أي: "باشِروا حَرَّها وقاسوه وواصلوه، كما كنتم تواصلون أذى عبادي بما يُحْرِق قلوبَهم"[2]، ويساعد على هذا المعنى التّعبير بالأمر الذي يفيد التّهكّمَ بهم؛ فكأنّه يقول: اصلوها على أيّ وجهٍ شئتم.

دلالة الإضمار في قوله: ﴿ٱصْلَوْهَا﴾:

جاء التّعبير بالإضمار في قوله: ﴿ٱصْلَوْهَا﴾ دون أن يقول: (اصلوا النّار)؛ وذلك لسَبْقِ ذِكْرها في قوله: ﴿هَٰذِهِ ٱلنَّارُ﴾، وللإشارة إلى تعظيمها وتهويلها.

لسَبْقِ ذِكْرها والإشارة إلى تعظيمها وتهويلها

دلالة الفاء في قوله: ﴿فَٱصْبِرُوٓاْ﴾:

عبّر النّظمُ الجليل بالفاء في قوله جلّ شأنه: ﴿فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ﴾ وهي هنا عاطفة دالّةٌ على السّببيّة، أي: فتسبّب عن تكذيبهم الوحيَ في الدّنيا ومباشرتِهم النّارَ أن يقال لهم: اصبروا على هذا العذاب أو لا تصبروا عليه[3]، وهي دالّةٌ على التّفريع، فقد فرّعت التّسوية بين صبرهم وجَزَعهم على الأمر بِصَلي النّار[4].

صَليُ النّارِ يتسبّب عنه استواءُ حالتي الصّبر والجَزَع في عدم الفائدة

دلالة الأمر في ﴿فَٱصْبِرُوٓاْ﴾:

عبّر النّظمُ الجليل بفعل الأمر في قوله جلّ شأنه: ﴿فَٱصْبِرُوٓاْ﴾؛ لأنّه يدلّ على الإباحة قطعًا لرجائهم، أي: اصبروا إن اردتم ذلك، بلا جزاءٍ على الصّبر، وبلا فائدة مرجوّة منه.

صَبْرُ الكافرِ لا فائدةَ مرجوّةَ منه

دلالة التّعبير بـ ﴿أَوْ﴾:

عبّر النّظمُ الجليل بحرف العطف ﴿أَوْ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ﴾، وهي هنا دالّة على التّخيير، أي: اصبروا إن

التّخيير الذي لا فائدة منه

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 44.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 12.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 12.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 44.

شئتم، أو لا تصبروا إن شئتم، ادخلوها فافعلوا ما شئتم من الصّبر والجَزَع، فإنّه في كِلا الحالين لا خلاصَ لكم، وذلك لقطع رجائهم[1].

دلالة النّهي في قوله: ﴿لَا تَصْبِرُواْ﴾:

عبّر النّظمُ الجليل بـ ﴿لَا﴾ النّاهية في قوله جلّ شأنه: ﴿أَوْ لَا تَصْبِرُواْ﴾؛ للدّلالة على إباحة الجَزَع وعدمِ فعلِ الصّبر، أي: لا تصبروا إن شئتم[2].

الدّلالة على إباحة الجَزَع وعدمِ فعلِ الصّبر

سرّ التّعبير بقوله: ﴿أَوْ لَا تَصْبِرُواْ﴾ عن الجَزَع:

أوثر التّعبير بقوله: ﴿أَوْ لَا تَصْبِرُواْ﴾ عن الجَزَع؛ لأنّه أشَدّ الحُزْن الذي يمنع الإنسانَ ويصرفُه عمّا هو بصدده، ويقطعه عنه قهرًا، وهو نقيض الصّبر، ولمّا كان الأمر في هذا المشهد لا يترتب عليه إذا جزع فائدةٌ؛ عبّر بقوله: ﴿أَوْ لَا تَصْبِرُواْ﴾. وأيضًا من باب التّهكّم بهم؛ لأنّهم لم يصبروا على الطّاعة في الدّنيا.

الجَزَع أشَدّ الحُزْن، يمنع الإنسانَ ويصرفُه عمّا هو بصدده، ويقطعه عنه قهرًا

نُكْتَةُ فصل قوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾:

فصل النّظمُ الجليل الجملةَ في قوله جلّ شأنه: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾ لأنّها مؤكِّدَة للجملة التي قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ﴾، فهما بالمعنى ذاته[3]. وفائدة ذلك الدّلالةُ على تناهي العذاب في الشّدة والدّوام، بحيثُ لا ينفع معه الصّبرُ، ولا الجَزَعُ[4].

بلغ عذابُهم مرحلةً يستوي فيها الصّبرُ والجَزَعُ

دلالةُ التّعبير بلفظ التّسوية في قوله: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾:

عبّر النّظم الجليل بلفظ التّسوية في قوله جلّ شأنه: ﴿ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ﴾؛ للدّلالة على استواء الصّبر من عدمه[5]، وفي ذلك ترويع وترهيب بليغ بالعذاب، حيثُ استوت

الدّلالة على استواء الصّبر وعدمه

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 28/ 52.
(2) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 28/ 52.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 44.
(4) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 15/ 47.
(5) النّسفيّ، مدارك التّنزيل: 3/ 383.

فيه كلّ الحالات. وفيه إشارة إلى الزّيادة في التّعذيب النّفسيّ قبلَ التّعذيب البدنيّ؛ لأنّه لا مفرّ لهم ولا محيص؛ فهم في قيد العذاب.

دلالة التّعبير بحرف الاستعلاء في قوله: ﴿عَلَيْكُمْ﴾:

آثَر القرآنُ التّعبير بحرف (على) في قوله: ﴿عَلَيْكُمْ﴾؛ لأنّها تدلُّ على الاستعلاء المجازيّ، وفيه إشارةٌ إلى أنّ أمر العذاب متمكّنٌ منهم، ولا طاقةَ لهم به، ولا مَفَرّ منه جزعوا أم صبروا، وما لهم من محيص.

نُكْتَةُ فصل قوله: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ﴾:

عـلّـة تـسـويـةِ الصّبر والجَزَع هـو انـتـفـاءُ فائدتِهما

فصل النّظمُ الجليل الجملةَ في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لأنّها مستأنَفَة استئنافًا تعليليًّا، سيقت لبيان علّة استواء الصّبر والجَزَع، أي: إنّ الجزاء بالعذاب لا بدّ من وقوعه، ولا مزيّة للصّبر على عدمه[1]. وفي ذلك يقول أبو حيّان: "فإن قلتَ: لمَ علّل استواءَ الصّبرِ وعدمَه بقوله: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؟ قلتُ: لأنّ الصّبر إنّما يكون له مزيّةٌ على الجَزَع لنفعه في العاقبة، وبأن يُجازَى عليه الصّابرُ جزاءَ الخير. فأمّا الصّبر على العذاب، الذي هو الجزاء ولا عاقبة له ولا منفعة، فلا مزيّة له على الجَزَع"[2].

بلاغة التّعبير بأسلوب القصر ﴿إِنَّمَا﴾:

ولا يَظْلِم ربّكَ أحدًا

عبّر النّظمُ الجليل بأسلوب القصر بـ ﴿إِنَّمَا﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ والقصر هنا قَصْرُ قلبٍ؛ وذلك لأنّه نزّل المخاطَبين منزلةَ من يعتقد أن ما لَقوه من العذاب ذلك اليوم هو ظُلْمٌ لهم، وأنّهم لم يستوجبوا ذلك؛ وذلك لشدّة ما ظهر عليهم من الفَزَع يومئذٍ[3]. فلمّا أظهروا أنّهم لا يستحقّون هذا العذابَ وأنّه ظُلْمٌ عليهم، ردّ عليهم ذلك وقلب ظنّهم بحصر ما نالوه من العذاب بعملهم لا غير، وأنّهم لا يُجازَون سواه.

(1) النّيسابوريّ، غرائب القرآن: 6/ 193.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 9/ 569.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 45.

دلالة التّعبير بـ﴿تُجْزَوْنَ﴾ مادّةً وصيغةً:

الجزاء مكافِئ لما يكسب العباد

عبّر النّظمُ الجليل بالجزاء في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ لدلالته على ما فيه الكفاية من المقابلة بين العمل وجزائه، إن خيرًا فخيرٌ، وإنْ شرًّا فشرٌّ[1]. فيقع العذابُ على استحقاقهم لا ظلمًا لهم، وعبّر بصيغة الفعل المضارع للدّلالة على أنّ الجزاء يقع في الحاضر وفي المستقبل على الدّوام[2].

نُكْتَةُ تعدية فعلِ الجزاء بنفسه:

جزاؤهم هو عينُ المعاصي والآثام عدلًا من الله وقسطًا

عدّى النّظمُ الجليل فعلَ الجزاء بنفسه في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ دون أن يقول: (تجزون بما كنتم تعملون)؛ وذلك للدّلالة على أنّهم يُجزون ما يُكافِئ فعلَهم، فهو مبالغة في المماثلة، أي: تُجْزَون مثلَ عملِكم لا أكثر منه؛ فينتفي الظّلم عن مقدار الجزاء، كما انتفى الظّلم عن أصله، ولهذه الخصوصيّة لم يُعَدّى الفعلُ بالباء، بل عُدّيَ بنفسه[3].

سرّ التّعبير بـ﴿مَا﴾ في قوله: ﴿تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾:

عبّر النّظمُ الجليل بـ﴿مَا﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وهي صالحة أن تكون اسمَ موصول، والجملةُ بعدَه صلة له[4]، وأن تكون حرفًا مصدريًّا[5]، والمعنى: أنّهم يُجزون عينَ أعمالهم؛ إظهارًا للعدل، وبيانًا للمبالغة في المماثلة بين الجزاء والعمل[6].

نُكْتَةُ دخولِ فعلِ الكوْن:

دأبوا على المعاصي حتّى صارت صفةً راسخة فيهم

عبّر النّظمُ الجليل بفعل الكون في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ دون أن يقول: (تجزون ما تعملون)؛ للدّلالة

(1) الرّاغب، المفردات: (جزا).
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 12.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 45.
(4) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 28/ 72.
(5) محمود صافي، الجدول في إعراب القرآن: 14/ 19.
(6) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 207.

على أنّهم كانوا راسخين بتلك المعاصي والآثام، فتلك الصّفة من مكوّنات وجودِهم وكينونتهم، فكأنّها ثابتةٌ فيهم كثبوت ما يُجبَل عليه الإنسانُ[1].

دلالة التّعبير بالعمل مادّةً وصيغةً:

الجزاء متعلّق بما قصد الإنسان فعلَه

عبّر النّظمُ الجليل بلفظ العمل في قوله جلّ شأنه: ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ لدلالته على ما فعل بقصد، وهو يشمل الأعمالَ الصّالحة والسّيّئة[2]، فلا يجازي اللّه تعالى إلّا على الأعمال التي عقد عليها صاحبها النّيّة. وجاء التّعبيرُ بصيغة الفعل المضارع للدّلالة على أنّ فعلهم المعاصيَ والآثامَ كان على وجه التّجدّد والدّوام.

❁ الفُروقُ المعْجَمِيّةُ:

العمل والفعل والصّنع:

العمل أخصّ من الفعل؛ لأنّ العمل ما كان بقصد ونيّة، والفعلَ عامّ شامل

الفِعْلُ: التّأثير من جهة مؤثّر، وهو عامّ لما كان بإجادة أو غير إجادة، ولِما كان بعلمٍ أو غير علم، وقصدٍ أو غير قصد، ولِما كان من الإنسان والحيوان والجمادات[3].

العَمَلُ: كلّ فعل يكون من الحيوان بقصد، فهو أخصّ من الفعل، لأنّ الفعل قد يُنسب إلى الحيوانات التي يقع منها فعلٌ بغير قصد، وقد يُنسب إلى الجمادات، والعَمَلُ قلّما يُنسب إلى ذلك، ولم يستعمل العَمَلُ في الحيوانات إلّا في قولهم: البقر العَوامِلُ، والعَمَلُ يُستعمل في الأعْمالِ الصّالحة والسّيّئة[4].

الصّنع أخصّ من العمل؛ لأنّه يقتضي العِلْم والجَوْدَة في الفعل

والصّنع: ترتيب العمل وإحكامُه، وتقدّمُ العِلْم به وبما يوصل إلى المراد منه، ولذلك قيل للنّجّار: صانع، ولا يقال للتّاجر صانع؛ لأنّ

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 12.
(2) الرّاغب، المفردات: (عمل).
(3) الرّاغب، المفردات: (كسب).
(4) الرّاغب، المفردات: (عمل).

النّجار قد سبق علمُه بما يريد عمله من سرير أو باب، ويعلم الأسباب التي توصِل إلى ذلك، والتّاجر لا يعلم إذا اتّجر أنّه يصل إلى ما يريده من الرّبح، فالعمل لا يقتضي العِلْمَ بما يعمل له. والصّنع يدلّ على الجودة[1]، فهو أخصّ من العمل، فلا يقال إلّا لما كان من الإنسان بقصد واختيار، وبعد فكر وتحرٍّ وإجادة[2].

(1) العسكريّ، الفروق، ص: 135، 136.

(2) الرّاغب، تفسير الرّاغب: 5/ 392، والبيضاويّ، أنوار التّنزيل: 2/ 134.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والخمسون،
سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 57 ، 802 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-650-27-0
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 57 : المجلد السابع والخمسون، سورة الحُجُرَات من الآية 15 إلى سورة الطُّور الآية 24.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-650-27-0
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4331956 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"